تاريخ الفلسفة
سبينوزا 36
بقلم الدكتور آرثر هولمز من كلية ويتون

حسنًا، فلنبدأ إذًا .هذا الأسبوع، نودّ أن نسلط الضوء على بنديكت سبينوزا، المفكر اليهودي الإسباني الذي عاش في هولندا مع عائلته منذ طفولته بسبب معاداة السامية في إسبانيا، لكنه لم يلقَ قبولًا حقيقيًا في المجتمع اليهودي بسبب موقفه الفلسفي .عند قراءة سبينوزا، ستلاحظون بسهولة أنه أقرب إلى وحدة الوجود منه إلى الإيمان بوجود إله، وبالتالي، فهو لا يأخذ المعتقدات اليهودية حرفيًا فيما يتعلق بالله، وهذا هو أصل .المشكلة

لكنني أريد التركيز أولاً وقبل كل شيء على الأهمية التاريخية لسبينوزا، حتى نتمكن من فهم سبب تخصيصنا هذا القدر من الوقت له، وكيف يندرج ضمن الصورة العامة .في الأسبوعين الماضيين، كنا نتحدث عن ديكارت، رينيه ديكارت، وأول ما يُلاحظ في سبينوزا تاريخياً هو أنه يواصل المنهج الذي استخدمه ديكارت .أي .أن المنهج الهندسي ينطلق من التعريفات والمسلمات منطقياً لإثبات النظريات والاستنتاجات

هذا هو علم الهندسة .وكما أكدنا، فقد اعتمد ديكارت هذا المنهج في تأملاته وكتاباته الأخرى، وكذلك فعل سبينوزا .في الواقع، تشير كتب التاريخ إلى أتباع ديكارت، وقد علّقتُ على بعضهم يوم الأربعاء الماضي، لكن .سبينوزا، على أي حال، يُعدّ ديكارتيًا بحكم هذه المنهجية

كان أول منشور فلسفي له عام 1663، عندما كان في الثلاثين من عمره، يحمل عنوانًا مثيرًا للاهتمام" :الجزآن الأول والثاني من مبادئ ديكارت في الفلسفة مُبرهنة بطريقة هندسية ."وقد قام بشرحها حرفيًا بأسلوب كتاب هندسي، مُتضمنًا التعريفات والمسلمات والنظريات مع البراهين وما إلى ذلك .وكما لاحظتم على الأرجح، إذا ،بدأتم بقراءة كتاب سبينوزا "الأخلاق"، ولا أظن أن هناك ما هو أفضل من قراءته في عطلة عيد الشكر ،ستجدونه يفعل الشيء نفسه تمامًا .يبدأ بالتعريفات والمسلمات، ثم ينتقل إلى صياغة النظريات وإثباتها ."وبعد كل نظرية، يكتب بأسلوب إقليدي بامتياز" :وهو المطلوب إثباته .

لا أعرف أين وردت هذه الطريقة في كتب الهندسة الحديثة، لكنها بالتأكيد كانت موجودة في كتب الهندسة التي كنت أدرسها في المرحلة الثانوية .لذا، نعم، لقد تم اتباع الطريقة الديكارتية بدقة .ستجد من المثير للاهتمام الطريقة التي يتحدث بها الكاتب ستيوارت هامبشاير، مؤلف كتاب بنغوين عن سبينوزا، عن هذه .الطريقة

يُصرّ سبينوزا على أن كلماته، ولا سيما كلماته عن الله وصفاته، يجب ألا تُفهم أبدًا بمعناها العامي ، أي .بمعناها الشائع والمجازي، بل فقط بالمعنى الخاص الذي خصّصه لها في تعريفاته .تذكّر هذا التنبيه جيدًا عندما تقرأ لسبينوزا وهو يشير إلى الجوهر أو العقل أو الله أو الخير، تحقّق من تعريفاته، لأنه يريد .استخدامها بدقة في ذلك المعنى المُحدّد فقط، وليس بالمعنى العامي للغة الدارجة

اعتبر ديكارت أن كل ما كُتب وقيل عن الله وخلق الكون تقريبًا لا معنى له، لأن غير الفلسفيين عاجزون عن تصور الله بوضوح .فهم، بحكم تربيتهم، غير قادرين على فهم ما لا يستطيعون تخيله، لشدة ارتباطهم ،بحواسهم .ونتيجة لذلك، كان ديكارت عقلانيًا؛ فمعرفته القبلية هي ما لم يستطيعوا فهمه، ولهذا السبب كتب كلًا من عرضه المبكر لفلسفة ديكارت وعمله النهائي العظيم، "الأخلاق"، بهذا الأسلوب الهندسي .كسلسلة من القضايا مع براهينها الداعمة، والمسلمات، والنتائج المترتبة عليها

وهكذا، استبعد سبينوزا من عرض فلسفته أي وسيلة خفية للإقناع أو استمالة خيال القارئ، وهي وسائل شائعة في الكتابة النثرية العادية، فلا بلاغة، بل منطق واضح .أراد أن تُعرض الفلسفة الحقيقية بأقرب صورة ممكنة إلى الموضوعية والحيادية والحرية، بعيدًا عن استمالة الخيال، كما في كتاب "الأصول "لإقليدس .هذا هو سبينوزا ومنهجه، وأعتقد أنه لا بد من فهم ما يفعله لفهم الفكرة كاملة.

تذكر أن هذا العصر شهد أزمة سلطة فيما يتعلق بالمعرفة الإنسانية، حيث عادت الشكوكية لتطل برأسها من جديد، وحيث حاول بيكون وديكارت، كلٌّ على طريقته، إرساء أسس معينة نبني عليها معرفة علمية حقيقية .وبهذا، يتبع سبينوزا ديكارت في رغبته ببناء المعرفة على الحقائق البديهية، كما هو الحال في الرياضيات، وهي بالمناسبة العلم الوحيد الذي ورثناه من العصور الوسطى، والذي أعتقد أنه لم يكن عرضةً للشك والريبة كما كانت العلوم الأخرى .هذه هي أولى النقاط ذات الأهمية التاريخية، ولذلك ينقل سبينوزا هذا المنهج إلى من أتوا بعده، وسنرى شيئًا مشابهًا عند دراسة لايبنتز في المرة القادمة، مع أن لايبنتز لا يعرضه في الغالب على شكل كتاب في الهندسة، ولكنه من نفس النوع من العقلانيين.

الأمر الثاني المهم الذي يجب ملاحظته هو أنه على الرغم من إعجابه الشديد بديكارت وتبنيه بعض مواقفه الخاصة، إلا أنه يُعدّل وجهة نظر ديكارت العامة بطرق واضحة للغاية .كان ديكارت ثنائيًا من ناحيتين :ثنائية العقل والجسد، وثنائية الله والطبيعة .أما سبينوزا فيرفض كلتا الثنائيتين.

سبينوزا موحد ميتافيزيقي، ولم نصادف موحدين ميتافيزيقيين منذ زمن طويل بسبب التأثير اليهودي المسيحي .لقد صادفنا أفلوطين، وبالطبع بارمنيدس، وإذا ما أضفنا إلى الموحدين الميتافيزيقيين ذلك النوع من ،التوحيد ذي الجانبين الذي وجدناه عند الرواقيين، حيث لكل شيء وجهان، جانبان :النظام العقلاني المعقول وجانب المادة المتغيرة، البخار الناري، النظام المعقول، اللوغوس، أي أن لدينا اللوغوس والمادة عند الرواقيين، وسنجد الشيء نفسه تقريبًا عند سبينوزا .الله والطبيعة كلمتان تشيران إلى شيء واحد.

يُركز الله على جانب المعقولية، جانب المنطق؛ بينما تُركز الطبيعة على جانب المادة المتحركة، ومن هنا ينشأ ذلك الإطار الشبيه بالفلسفة الرواقية .فبدلاً من الميتافيزيقا الإلهية، كما كان عند ديكارت، يُقدم لنا سبينوزا ميتافيزيقا وحدة الوجود، ولأن الله هو كل شيء وكل شيء هو الله، فإن النظام المعقول والمادة المتحركة هما في الحقيقة وجهان لعملة واحدة .وبدلاً من أن يكون العقل والجسد جوهرين منفصلين بخصائص مختلفة تماماً، فإنهما مجرد اسمين لجانبين أو صفتين من صفات الشيء الواحد.

وهكذا يتبنى ديكارت مبدأ وحدة الوجود ذي الجانبين في جميع جوانب فكره .عندما كنا نتحدث يوم الأربعاء الماضي مع بقية الطلاب المخلصين عن أخلاقيات ديكارت، حاولتُ أن أبين أن ديكارت قدّم أخلاقيات من النمط الرواقي، أي أخلاقيات يستطيع فيها العقل، بفضل أفكاره الواضحة والمتميزة، أن يُبدد الأهواء، ويضبط الانفعالات، ويتغلب عليها بالعقل .وتستمر هذه الأخلاقيات الرواقية عند سبينوزا، إذ يبدو أنه ورث هذا النهج الأخلاقي من ديكارت، لكنه يُطبّقه بشكل أكثر وضوحًا.

إنه يفعل ذلك بشكل منهجي للغاية، بينما لا يتبع ديكارت أي منهجية في الأخلاق .يكمن الأمر في أن سبينوزا لا يكتفي بالكتابة المنهجية عن الأخلاق، بل إنه يؤسس أخلاقه الرواقية على ميتافيزيقا رواقية .هل فهمت؟ إنه يؤسس أخلاقه الرواقية على ميتافيزيقا رواقية.

عندما أقول "من نوع الفلسفة الرواقية"، فأنا أعني وحدة الوجود مع الطبيعة .فالطبيعة إلهية .وقد تحدث الرواقيون عن الطبيعة باعتبارها عناية إلهية.

وبهذا الشكل، يميل سبينوزا إلى نقل أفكاره، بل ينقلها بالفعل، إلى القرن التاسع عشر .مع العلم أنه عاش في القرن السابع عشر .لكنه يمثل حلقة الوصل التي تنقل هذا النهج الأحادي، النهج الوحدوي، وحدة الوجود .الطبيعية، إلى الرومانسيين في القرن التاسع عشر

.وعندما نصل إلى القرن التاسع عشر، سنرى كيف أشاد بعضهم، مثل هيغل وشلايرماخر، بسبينوزا وإسهاماته وإذا كنتَ مُلِمًّا بأدب الرومانسية في القرن التاسع عشر، فربما تُدرك مدى إعجاب كولريدج وغوته وماثيو أرنولد بسبينوزا .فهو إذًا حلقة الوصل التاريخية في نقل فكرة وحدة الوجود في الطبيعة إلى الرومانسيين في .القرن التاسع عشر

. بالطبع، لم يكونوا عقلانيين مثله، بل على العكس تماماً .لم يطوروا أخلاقيات تحكم العقل بالعواطف

ليس الأمر كذلك على الإطلاق .إنما هي وحدة الوجود الطبيعية التي ينقلونها ويواصلون تطبيقها .لذا فهذا . هو النوع الثاني من الأمور، التعديلات والاستمرارية فيما يتعلق بموقف ديكارت نفسه وما ينقله إلى من بعده

وهذا يقودنا مباشرةً إلى نوع ثالث من الأهمية التاريخية، ألا وهو تأثير نقده العقلاني للدين التقليدي، وتحديداً اليهودية التقليدية .ويُستشهد به أحياناً في دورات النقد الكتابي باعتباره أحد رواد النقد التاريخي لأدب العهد .القديم

.المسالك اللاهوتية السياسية، مقال .Tractatus Theologico-Politicus نشر عام 1670 عملاً بعنوان .الرسالة اللاهوتية والسياسية

فعلى سبيل المثال، ينكر وجود أي حقيقة مُوحى بها بشكل خاص .فلماذا يقول ذلك شخص عقلاني يؤمن بوحدة الوجود؟ حسنًا، إذا كنت تثق في هذا النوع من المنهج الرياضي، فينبغي أن يكون من الممكن استنتاج مجمل الحقائق المتاحة من البديهيات المعطاة بالعقل وحده .إذن، ما مدى كفاية هذا المنهج؟

لكن بالنسبة للمؤمن بوحدة الوجود، فإن أي نوع خاص من الكشف الإلهي عن الذات يصبح بلا معنى .لأنه إذا لم يكن هناك كائن خارج الله، فماذا يعني أن يتفاعل الله مع كائن ما بطريقة تكشف عن ذاته؟ ما ينتج عن هذا المفهوم في وحدة الوجود هو ما يُسمى غالبًا باللاهوت الضمني .أي، إذا كان كل شيء هو الله والله هو .كل شيء، فإن كل ما يُنسب إلى الله إنما يحدث في داخله

ليس خارج نطاق الله، بل يجري في داخله .وبقدر ما تجري الأمور في الطبيعة بفضل الله، فذلك لأن الله في .الطبيعة والطبيعة في الله وفي كل كيان الوجود .ولذا لا يمكن أن يكون هناك ما يُسمى بالوحي الإلهي الخاص

.بالنسبة للوحدوي، يُعدّ ذلك غير ضروري ومستحيلاً .لذا، يرى سبينوزا أن الدين يقتصر على الحياة القويمة .وبالتالي، فإن نوع اليهودية الذي يتبناه يُشابه ما يُعرف اليوم باليهودية الإصلاحية

وهو نزعة إنسانية دينية تُعلي من شأن القيم والاهتمامات الأخلاقية لليهودية التاريخية، دون اللجوء إلى اللاهوت الخارق للطبيعة الذي يميز اليهودية الأرثوذكسية .ونتيجةً لذلك، يتغير دور الرموز الدينية، إذ لم .تعد اللغة والطقوس الدينية مجرد وصف أو تذكير بإله تقليدي وقدراته العظيمة

،إنها مجرد رموز تربط المجتمع ببعضه .تحمل قيماً مجتمعية .فهي تربط المجتمع ببعضه وتوفر لغةً إبداعية .لغة القصص، لغة التراث، التي توحد المجتمع حول مُثُل أخلاقية معينة

وهذا موضوع يحظى باهتمام كبير في عصرنا الحالي .فعلى سبيل المثال، ترتبط اللاهوت السردي بهذا الموضوع .إذا كنتم مهتمين بدراسة هذا النوع من التأثير في لاهوت القرن التاسع عشر، فسنتناوله بمزيد من التفصيل في الفصل الدراسي الثاني.

لكن هناك كتاب قيّم للغاية من تأليف سي سي جيه ويب، بعنوان "دراسة للفكر الديني في إنجلترا منذ عام 1850".

وكل ما سأقوله في هذه المرحلة هو أن ذلك سيتيح لك بعض الاطلاع على أنواع الفكر الديني المتأثرة بنقد سبينوزا العقلاني للدين التقليدي .حسنًا، هذه النقاط الثلاث تتعلق بالأهمية التاريخية .هل لديك أي تعليقات أو أسئلة؟ هل هناك أي نقاط تحتاج إلى توضيح؟ هل فاتتك بعض التفاصيل وتريد معرفة المزيد؟ نعم، بوب؟ كنت أتساءل، هل تقصد أن سبينوزا مدافع صارم عن الدين؟ نعم، أعتقد ذلك.

هل يُثير ذلك مشكلة؟ لم يبدُ أنك كنتَ تُصرّح بذلك تمامًا .حسنًا، ربما كنتُ مُجاملًا أكثر من اللازم .ربما قلتُ إنه يميل إلى ذلك بدلًا من أنه صريح.

حسنًا، هو صريح جدًا .أعتقد أن هذا سيتضح جليًا مع تقدمنا .جانيل؟ حسنًا، مرة أخرى، أميل إلى أن أقول انتظروا وشاهدوا لبضع لحظات حتى نصل إلى هناك.

الآن، قد تكون هذه اللحظات القليلة يوم الجمعة، لذا لا تنتظروا طويلاً .ديفيد؟ حسنًا، أجل .دعني أحاول أن أُعيد شرح ما فعلناه مع ديكارت يوم الأربعاء الماضي بإيجاز، من أجل البقية غير الملتزمة.

باختصار، كنا نتحدث عن نظرية ديكارت عن الانفعالات .لا أريد الخوض في هذا الموضوع الآن، لكن انظروا إلى ما يقوله ستامبف عن ديكارت فيما يتعلق بالعواطف والأهواء.

تتلخص نظريته عن الانفعالات في أنها تضللنا بسبب الغموض الذي يصاحبها .وبالتالي، عندما يبلغ العقل صفاءً ووضوحاً في الفكر، وأفكاراً واضحة ومحددة، يتبدد ذلك التشويش المصاحب للعاطفة، وتضعف قوة الانفعال .إذن ، الأمر يتعلق بصفاء الذهن.

قبل أن ترفض هذا الكلام، اسأل نفسك :ما الذي يفعله المعالج النفسي، أو المحلل النفسي مثلاً، عندما يحاول مساعدتك على تذكر شيء ما، أو التفكير بوضوح أكبر في الظروف التي حدث فيها كذا وكذا؟ فهو يحاول تبديد المشاعر السلبية من خلال صفاء الذهن .هذا هو نوع العمل الذي يقوم به.

،والآن، في الوقت نفسه، دعونا نتناول نقاش ديكارت حول الإرادة والعقل .فما يقوله في هذا الصدد عن الخطأ هو عن إرادة تستبق الأحداث قبل العقل، لكنها إرادة تحتاج إلى كبح جماحها عن إصدار الأحكام بشأن ما تعرفه .والخطأ، في جوهره، شرٌّ معرفي.

إذن، كيف لنا أن نكبح جماح أنفسنا عن الشر؟ إلا بكبح الإرادة، كما يرى ديكارت، بكبحها ضمن حدود ما نعرفه بوضوح وجلاء أنه خير .وهكذا نجد الأمر نفسه .وبالمثل، فيما يتعلق بالعقل والجسد، بما أن العقل جوهر منفصل عن الجسد، والانفعالات لها أسباب مادية، فإن انفصال العقل يعني أنه ليس بالضرورة خاضعًا لأنواع حتمية من السببية الناجمة عن الانفعالات الجسدية.

لكن العقل، بفضل صفائه ووضوحه، يستطيع أن يؤكد استقلاليته ويصل إلى نفس النتائج .أما الأمر الرابع الذي لاحظته فهو أنه في حديثه عن المنهج، وقبل أن يشرع في محاولته للتغلب على الشك، يضع ما يسميه

أخلاقًا مؤقتة سيتبعها في ظل هذه الظروف من عدم اليقين .وهذه الأخلاق المؤقتة هي في جوهرها نفس هذا المفهوم.

سيكبح جماح حكمه، وسيكبح جماح فعله إلى حين علمه، وهكذا دواليك .إنها صورة العقل وهو يتحكم في العاطفة، العقل وهو يوجه الإرادة طوال الطريق .الشيء الوحيد الذي يحيرني هو قولك إن العقل هو المحفز.

لا، بل يوجد وعي بها في العقل .ففي تفاعل العقل والجسد، كما أن قرارات الإرادة التي تحدث في العقل تُنتج تغيرات جسدية وأفعالاً جسدية، كذلك فإن الانفعالات التي هي بمثابة حركات للغرائز الحيوانية في الجسد لها نواتجها الواعية في العقل .وهذه النواتج الواعية هي أفكار، نعم، لكنها أفكار مشوشة .

أفكار عفوية .ويجب ألا تسيطر على العقل وتسبب المشاكل .لذا، من هذا المنطلق، فهي نوع من الأخلاق العقلانية.

نحن محكومون بالعقل .ينبغي أن نكون كذلك، لا بالعاطفة .وينطبق الأمر نفسه على أتباع سبينو.

الفرق الكبير الذي سنراه في فكر سبينوزا هو أنه لا يستطيع تأكيد حرية الإرادة .إنه حتمي .وهذا يُحدث فرقاً كبيراً.

عند سبينوزا، تبدأ في استيعاب نموذج مألوف إلى حد ما لما يترتب على ذلك من وجهة نظر وحدة الوجود. وقد صادفنا هذا النموذج عند أفلوطين، الفيلسوف الأفلاطوني المحدث .فمع وحدة الوجود، لا بد من وجود الحتمية.

لن يكون هناك أي انفصال، ولن يكون هناك ذلك النوع من الحرية المصاحبة للانفصال ، بحيث يكون للفرد زمام المبادرة .إنه حكم ذاتي .وعندها تنشأ مشاكل تتعلق بوضع أي تمييز واضح بين الخير والشر.

لأن ما قيمة الشر إذا كان كل شيء واحدًا؟ يصبح التمييز بينهما غير واضح .حاول أفلوطين معالجة هذه المسألة من خلال نظريته عن الفيض الإلهي، ثم درجاته وما إلى ذلك .وبالمناسبة، لم يعد مذهب وحدة الوجود حكرًا على الديانات الشرقية في عصرنا الحالي.

بما أن التأثيرات الشرقية قد عادت لتفرض نفسها في الغرب، أو على الأقل في الجزء الغربي من هذا البلد، فإن حركات العصر الجديد هي في جوهرها حركات وحدة الوجود.

ليست كل كتابات العصر الجديد منهجية، ولا مُفصّلة بدقة، لكنها كافية، في رأيي، لتُساعدنا على إدراك أنها نوع من أنواع وحدة الوجود .نوعٌ أكثر رومانسية من وحدة الوجود، أقرب إلى القرن التاسع عشر منه إلى سبينوزا .لكنّ النماذج الفكرية نفسها تظهر.

حسنًا، لننتقل إذًا من أهميته التاريخية إلى ما أسميته بالسمات العامة .في الواقع، بدأت هذه السمات العامة بالظهور بالفعل .والسمة العامة الأولى، بالطبع، هي هذه النظرة القائلة بأن الله والطبيعة شيء واحد.

الله والطبيعة شيء واحد .ستجد أنه يتناول هذا الموضوع انطلاقاً من مفهومه عن الجوهر .وهو لا يبدأ بشك منهجي، كلا.

يبدأ بالتعريفات .يبدأ بتعريف الجوهر، من بين أمور أخرى .والطريقة التي يُعرّف بها الجوهر تقوده إلى استنتاج مفاده أن الله والطبيعة شيء واحد.

إذا كان الله والطبيعة شيئًا واحدًا، فسنجد جانبين للأشياء .أي أن الله يمتلك الفكر والامتداد معًا .الله لا متناهٍ.

.امتداد .كما لو أن الله هو فضاء الكون بأكمله .لكن الله، في الوقت نفسه، لانهائي في فكره

.وتجد هنا صدىً للتقاليد الأفلاطونية .أو ربما لمفهوم اللوغوس الرواقي .الفكر والامتداد

.هاتان صفتان من صفات الله .إله واحد وصفاتان معروفتان .قد تكون هناك صفات أخرى لا نعرفها

لكن هاتين الصفتين تتجليان فينا وفي تجربتنا .في الواقع، تتجلى هاتان الصفتان في كل من الأنماط اللانهائية والمحدودة .النمط اللانهائي للفكر هو الله.

.عقل الله .الطبيعة هي نمط الامتداد اللامتناهي .وفيها كلها، اتساعها

لكن أنماط التفكير المحدودة هي أنماط تفكيرك وأنماط تفكيري .وأنماط الامتداد المحدودة هي أنماط تفكيرك وأنماط تفكيري .أجساد، كما نسميها.

.لكن هذه ليست مواد .العقل ليس مادة منفصلة عن الجسد، والجسد ليس مادة منفصلة عن العقل

أجسادنا، أنا وأنت، ليست كيانات منفصلة عن الله .نحن مجرد تجليات محدودة لوجود الله .أترى ؟ بهذا المعنى، أنت تفكر بأفكار الله من خلاله.

كيف لك أن تفعل غير ذلك؟ أفكارك جزء من وعي الله بذاته .لذا لا وجود لمفهوم الجواهر المنفصلة بالمعنى الديكارتي، بل توجد صفات مميزة.

أنماط قابلة للتمييز .يمكنك تمييز جسدك عن الجسد الجالس بجانبك .يمكنك تمييز أفكارك عن أفكار شخص آخر.

.لكن هذا ليس تمييزاً بين المواد، بل هو تمييز بين الأنماط .نمط محدود عن نمط محدود آخر

.الآن، يمكنك أن ترى في هذا التمييز بين المحدود واللامحدود، إن شئت، صدىً لخط أفلاطون المنقسم الأبدي والزماني، اللامحدود والمحدود .كلا، إنها مجرد أصداء.

.لأن أفلاطون سيتقلب في قبره لو فكر في الطبيعة على أنها أبدية .أترى ؟ مع أن طبيعته كانت كذلك بالفعل .لكن الطبيعة؟ كلا

الطبيعة بكل معانيها المادية .لذا فإن صدى أفلاطون موجود .لكن ما يتحدث عنه ليس عالمين أو صورتين أو تفاصيل مختلفة.

لا .ما يتحدث عنه هو أنماط محدودة وغير محدودة لنفس العالم .أنماط محدودة وغير محدودة لله، وهي الطبيعة.

إذن، هذا ما يطرح المشكلات والمواضيع الدائمة .لذا سنرى بعد قليل كيف يتم تطبيق هذا التوحيد ذو الجانبين على هذا النطاق الواسع من الثنائيات، حيث لا يمثل أي منها شيئين منفصلين.

الله والطبيعة ليسا شيئين منفصلين .الفكر والامتداد ليسا شيئين منفصلين .الحرية والحتمية ليستا شيئين منفصلين.

الخير والشر ليسا شيئين منفصلين .العقل والعاطفة ليسا شيئين منفصلين .إنهما وجهان لعملة واحدة.

وجهان لظاهرة واحدة .طوال الوقت .لذا، ما تحتاج إلى فهمه فيما يتعلق بالسمات العامة هو مصطلحات الجوهر، والصفة، والنمط.

حسناً؟ الجوهر، والخصائص، والأنماط .هذا هو المجمل .تأكد من فهمك لهذا الأمر جيداً.

لا يوجد سوى جوهر واحد .لكن الجوهر الواحد له صفتان على الأقل .ويمكن تحديد هاتين الصفتين في الوضع اللانهائي، وكذلك في الأوضاع المحدودة.

أنت لست كائناً، بل أنت نمط محدود من الوجود .تفكيرك ليس سوى النمط المحدود لصفة التفكير لدى الواحد.

كائن شامل .أنت تفكر بأفكارك الحالية حول شكل محدود من التفكير الإلهي اللامتناهي .الجوهر، الصفة، النمط.

هل هذا واضح بما فيه الكفاية؟ حسنًا .يساعد الرسم التوضيحي على فهم المصطلحات .فإذا أردتَ تمديد الخط المقسم الذي تراه إلى أسفل، فستحصل على أفكارنا وأجسادنا.

حسنًا .هذه تندرج ضمن نطاق الجزئيات .هل سبينوزا واقعي فيما يتعلق بالكليات أم مجرد صاحب رؤية مفاهيمية؟ حسنًا، أميل إلى القول إنه مجرد صاحب رؤية مفاهيمية.

بمعنى آخر، نحن نفكر فعلاً بمفاهيم كونية، بمفاهيم مجردة .نعم، هو ليس اسمياً.

لكن ماذا لو كان المقصود بالواقعي وجود مبادئ عالمية يمكن فصلها بطريقة ما عن الجزئيات؟ كلا .كلا .لذا أعتقد أنه أقرب إلى المفهومي.

ومرة أخرى، الصورة الرواقية هي التي ترشدنا .حسنًا .إذن هذه هي السمة العامة الأولى التي يجب الانتباه إليها.

الجوهر، والصفات، والأنماط .سام .أما السمة العامة الثانية فتتعلق بنظريته المعرفية.

منهجه المعرفي .لطالما قلت إنه عقلاني .وهو يميز بين ثلاثة أنواع من المعرفة.

ثلاثة أنواع من المعرفة .أولها الرأي .وثانيها الاستدلال.

وثالثًا، الحدس .وهذا أيضًا يشبه إلى حد كبير ما طرحه ديكارت .فقد قدّم هذا التمييز الثلاثي في كتابه الصغير المسمى "تحسين الفهم".

حول تحسين الفهم .عثرتُ على نسخة ورقية منه في مكتبة بالمطار منذ فترة ليست ببعيدة .عنوانه "كيف نُحسّن عقلك "لبنديكت سبينوزا.

حُوِّلَ الأمر إلى دليل إرشادي .أظن أن كل من انخدع بهذا الأسلوب واشتراه قد صُدِم وتساءل عما أنفق ماله عليه .لكن الفرق ما زال قائماً.

لكنّنا نجد هذا التمييز في موضع آخر من أخلاقياته .وإذا كان لديك المختارات، فألقِ نظرة عليها في الصفحة ١٢٧. الصفحة ١٢٧.

في الحاشية رقم ٢، الملحقة بالفقرة ٤٠ من الجزء الثاني من كتابه "الأخلاق ."في الحاشية رقم ٢ في الصفحة ١٢٧، العمود الأول، يميز بين أنواع مختلفة من المعرفة.

في منتصف العمود، توجد معرفة من النوع الأول .مكتوبة بخط مائل .رأي أو خيال.

وهذان يشيران إلى الأول والثاني المذكورين أعلاه مباشرةً .الرأي يتعلق بالإدراك الجزئي للتفاصيل .أما الثاني فيتعلق بالأفكار التي تثيرها الرموز والكلمات في المخيلة.

حسناً .إذن، الرأي أو الخيال هو الأول .والثاني، العقل أو المعرفة من النوع الثاني.

،لأننا نمتلك، كما يقول، مفاهيم مشتركة بين جميع البشر .أفكار كافية عن خصائص الأشياء .بعبارة أخرى حقائق عالمية معروفة للجميع.

الحقائق الكونية معروفة للجميع .ثمّة نوع ثالث من المعرفة، نسميه الحدس .الحدس ينبع من فكرة وافية عن الجوهر المطلق لصفات الله.

أن يمتلك معرفة كافية بجوهر الأشياء .من الواضح أنه يتحدث هنا عن حدس شيء مؤكد تمامًا ، لا يرقى إليه الشك.

ستجد أنه يتحدث عن هذا من منظور أفكار واضحة ومحددة .ديكارت .وهو يستخدم عبارة "أفكار كافية "في أغلب الأحيان.

عندما يريد الإشارة إلى ما هو يقيني بديهيًا، تذكر كيف استخدم ديكارت مصطلح "واضح ومميز "ليقول إنه واضح ومميز لدرجة لا تدع مجالًا للشك .وهذا ما يجعله مناسبًا.

لا مجال للشك في ذلك .واضحٌ وجليّ لدرجة أنه لا مجال للشك فيه، بل هو يقينٌ بديهي .أفكارٌ كافية.

انتبهوا لذلك .لمفهوم الأفكار الكافية .من الواضح أنه لن يولي اهتماماً كبيراً للرأي والخيال.

المعرفة التي تمتلكها بهذه الطريقة مجزأة .إنها مشوشة .إنها تجريبية.

إنها لا تتعامل إلا مع الأمور الطارئة .وهي متورطة في الدلالات غير المشروعة للغة بسبب الاستخدامات العرفية .هكذا هي اللغة الدينية، كما يقول.

لذا فإن نقده العقلاني للدين واللغة الدينية يتمحور في الواقع حول نقد أنواع اللغة المستخدمة في الحديث عن الأمور الدينية .وقد أُطلق عليها تقليديًا لغة القياس .لكن القياس ليس بالمعنى الحرفي الذي قصده .إقليدس

.ليس الأمر متعلقاً بوضوح الاستدلال الرياضي، كما ترى .ولذلك فهو لا يطيقه هذا النوع من اللغة والمعرفة .لذا، سينصب اهتمامه على اكتساب معرفة بديهية، أي واضحة بذاتها، أي كافية بهذا المعنى

وستجد أنه يرى الخطأ، بطبيعة الحال، ناتجًا عن نقص الوضوح والتمييز .عندما تُقرّ بما يفتقر إلى الوضوح .والتمييز، حينها تظهر المشكلة .وهذا يُشبه ما يقوله ديكارت

حسنًا، لكي يبدأ مسعاه الهندسي، منهجه، سيضطر، بطبيعة الحال، إلى البدء ببعض الأفكار الكافية .لأنه لا يوجد شيء آخر يمتلك اليقين البديهي المطلوب للبديهيات التي يُبنى عليها نظام استنتاجي كامل .وما يريد فعله هو الانتقال من فكرة كافية إلى أخرى، وهكذا دواليك، وصولًا إلى الفكرة الكافية، على امتداد سلسلة .الاستدلال

يرغب في الاعتقاد بأن كل قضية يسردها ويرقمها في كتابه الأخلاق، وهي بالمئات، هي يقينية منطقياً .يبدأ ،المرء بما هو يقيني بديهياً، ثم ينتقل إلى الأمور التي يمكن إثبات يقينها .وكما هو الحال في النظام الهندسي ستلاحظ أنه يعود في براهينه إلى تعريف، أو إلى بديهية، أو إلى قضية سابقة تم إثباتها، أو إلى نتيجة تم .استخلاصها صراحةً، وهي نتيجة قضية سابقة تم إثباتها

وهكذا، يتسم الأمر برمته بهذا النوع من الدقة الرياضية، على الأقل في نيته .الآن، أعتقد أنه يترتب على ذلك .أنه إذا لم تعجبك استنتاجاته، فهناك أمران يمكنك القيام بهما .الأول هو التشكيك في تعريفاته ومسلماته

هل البديهيات بديهية؟ حقًا؟ هل التعريفات اعتباطية؟ قابلة للدفاع؟ كيف تُعرّف التعريف؟ هل التعريف شيء نختاره بمعنى أننا نقرر كيفية استخدام هذه الكلمة، كما في قصة أليس في بلاد العجائب؟ إذا كانت هذه ،هي الطريقة التي أستخدم بها الكلمة، فسأستخدمها .سواء كان الأمر يتعلق بصانع القبعات المجنون أم لا .فهو أمر بالغ الأهمية .بدأت فلسفة اللغة تتبلور في القرن السابع عشر كأمر بالغ الأهمية

لقد صادفنا هذا المفهوم عند هوبز في كتاباته عن الاسمية .ذكرتُ لكم أنني أعمل على هوبز حاليًا، وحتى منذ أن انتهينا من دراسته قبل أسبوعين، اكتشفتُ مواضع يقول فيها هوبز إن المشاكل التي تنشأ مع وجهات .النظر الأخرى تعود إلى الطريقة التي يُعطي بها الناس معاني الكلمات .فالتفكير يبدأ بالتعريفات

ألا تتوقع ذلك من شخصٍ اسمي؟ أليس كذلك؟ يبدأ التفكير بالكلمات لا بالأفكار .هل لديكم أي أسئلة أو .تعليقات قبل أن نخوض في الموضوع؟ هاتان السمتان العامتان .الأولى تتعلق بالجوهر والصفات والأنماط

.أما الأمر الثاني فيتعلق بالبقايا، أي الرأي والعقل والحدس .فلننتقل إذن إلى بعض هذه الجوانب المزدوجة .هذا ما سيشغلنا في بقية دراستنا لسبينوزا

الله والطبيعة .انتقل إلى الصفحة ١١٠ من المختارات واطلع على التعريفات .من الواضح أنه لكي نُعطي .سبينوزا حقه، علينا أن نُوازن بين كل هذه التعريفات وكل البديهيات ونُعيد جميع البراهين

مع أن كوفمان قد أغفل الكثير، فهذه في النهاية مجرد مختارات .لكنني أريد فقط أن أتطرق إلى دليل أو اثنين .من الأدلة البارزة ذات الأهمية البالغة

التعريف الأول لا ينبغي أن يفاجئك .أعني بما هو ذاتي السبب، ما ينطوي جوهره على الوجود، ما لا يمكن تصور طبيعته إلا من خلال الوجود.

هذه هي الطريقة المدرسية للحديث عن الله، الذي ينطوي جوهره على الوجود .كان هذا أساس حجة ديكارت لوجود الله في التأمل الخامس .حجته الأنطولوجية تنطلق من مفهوم الله باعتباره كائناً ينطوي جوهره على الوجود .ثم انظر إلى التعريف الثالث .أعني بالجوهر ما هو موجود في ذاته ومُتصوَّر في ذاته .

له هوية خاصة به .هو في ذاته .يتم تصوره من خلال ذاته.

يمكنك التفكير فيه بمعزل عن أي شيء آخر .كانت هذه طريقة ديكارت في الحديث عن الجوهر .إنه جيد جدًا تعريف ديكارتي إلى هذا الحد.

لكن لاحظ كيف يفهم ذلك في الجملة الثانية .الآن سيُعيد صياغة التعريف بكلمات أخرى .أقصد بالجوهر ما يمكن تكوين تصور عنه بشكل مستقل عن أي تصور آخر.

هو لا يقول ببساطة أنه يمكنك التفكير فيه بمعزل عن الأشياء الأخرى، بل يمكنك تكوين تصور مستقل عن أي شيء آخر .لا توجد أي دلالات أو دلالات منطقية مرتبطة بأشياء أخرى.

لا توجد افتراضات منطقية بشأن الأمور الأخرى ذات الصلة .لذا يبدو أنه عرّف المادة بأنها ما لا يعتمد بأي شكل من الأشكال على مواد أخرى، أو ما لا تعتمد عليه مواد أخرى.

،لهذا السبب أعتقد أنه عرّف الجوهر بطريقة لا تسمح إلا بوجود جوهر واحد .هذا التعريف جوهري .الآن اجمع التعريفين الأول والثالث معًا.

ويبدو لي أن التعريف السادس، وهو تعريفه لله، يتبع ذلك .أعني بالله كائناً مطلقاً لانهائياً .أي جوهراً يتكون من صفات لا نهائية، كل منها يعبر عن جوهر أبدي لا نهائي.

الله جوهر ذو صفات لا متناهية .وبصفات لا متناهية، فإنك تقول إن الله كائن مستقل شامل لكل شيء .كل صفة تعبر عن جوهر أبدي لا متناهٍ.

نعم، جوهره الوجود، ولذلك فهو كائن .كائن ضروري .لذا يمكنك أن ترى دلالات هذه التعريفات بوضوح.

إنها تعريفات بات من الواضح الآن أنها تستبق ما سيأتي لاحقًا .وانظر إلى القضية رقم واحد .القضية رقم واحد.

المادة موجودة بطبيعتها قبل تعديلاتها .ويتضح هذا من تعريفاتك للمادة والنمط .القضية الثانية.

مادتان مختلفتان في خصائصهما لا تشتركان في أي شيء .ويتضح ذلك من التعريف الثالث .فكل منهما يجب أن يوجد في ذاته، وأن يُتصور من خلال ذاته.

لا يستلزم تصور شيء ما تصور شيء آخر .القضية الثالثة :لا يمكن لأشياء لا تشترك في شيء أن تكون سبباً لشيء آخر.

معذرةً يا ديكارت، أليست هذه هي مشكلة العقل والجسد؟ الأشياء التي لا تشترك في شيء لا يمكن أن تكون سببًا لبعضها البعض .أترى ؟ إذن، الفرضية الخامسة :لا يمكن أن يوجد في الكون مادتان أو أكثر لهما نفس الطبيعة أو الصفة.

الفرضية السادسة :لا يمكن إنتاج مادة من مادة أخرى .ولنرى.

عند الوصول إلى القضية السادسة، يتضح أن الله والطبيعة لا يمكن أن يكونا جوهرين منفصلين .وتقول القضية السابعة إن الجوهر موجود بذاته .أما القضية الثامنة، فتقول إن كل جوهر كائن ضروري، موجود بذاته.

تنص القضية الحادية عشرة على أن الله أو الجوهر يتكون من صفات لا حصر لها، كل منها جوهري .وأن الله موجود بالضرورة .وأخيراً، تستخلص القضية الرابعة عشرة النتيجة.

لا يُمكن إيجاد أو تصور أي جوهرٍ غير الله .وخلاصة القول، أن كل ما هو موجود فهو من الله .وبدون الله، لا يُمكن أن يكون شيءٌ ولا يُمكن تصوره.

إذن، لا يوجد إلا إله واحد، وجوهر واحد، الله أو الطبيعة .حسناً؟ وهكذا يتضح أن الله والطبيعة هما الله أو أي الله أو الطبيعة، Deus ewei natura :الطبيعة .والعبارة التي استخدمها هي.